ما بين الثقافة السائدة والثقافة المسيطرة :

إشكالية المثقف العربي الحديث والمجتمع

محمد شاويش*

طرح المسألة

.. العلاقة بين المثقف العربي الحديث ومجتمعه هي بالطبع موضوع جدير بدراسة تاريخية مفصلة، وبتحليل، بل تحليلات مطولة، غير أنني في هذا المقال سأقتصر على طرح الموضوع من زاوية العلاقة بين المثقف العربي الحديث بصفته مبدعاً، أي منتجاً لنتاجات فنية وأدبية، وبين المجتمع بصفته متلقياً لهذه النتاجات.

وفي نهاية هذا التحليل الأول أريد أن أشرح تمييزاً أراه مهماً للغاية لمحلل الثقافة العربية المعاصرة بين مكونين أساسيين لهذه الثقافة وهما : الثقافة السائدة والثقافة المسيطرة.

ما يلفت انتباه المرء حين يناقش هذا المثقف الذي أتحدث عنه هو أنه غالباً ما يكون غير واع لواقعة هي في الحقيقة أساسية في وضعه وموضوعه، ألا وهي واقعة اغترابه وانفصاله شبه الكامل عن مجتمعه.

ناقشت مرة أحد الكتاب في قطر عربي أيديولوجيته الرسمية منذ أربعين عاماً ويزيد «تقدمية اشتراكية قومية»، وهذه الأيديولوجيا هي بعينها أيديولوجيا المثقفين النافذين في الصحف والتلفزيون والمسرح والسينما والآداب، وإن كان هذا لا يعني بتاتاً تبعيتهم الآلية للسلطة، إذ من مميزات السلطة في بلادنا على ما يبدو أنها عاجزة كلياً عن إنتاج مثقف موال لها بالمعنى الكامل للموالاة، فهي قد تنتج موظفين يكتبون في الصحف، ولكن هذه الكتابات تظل بعيدة عن كل قيمة فكرية أو فنية، والذي نراه هو وجود مثقف يعبر عن الأيديولوجيا الرسمية بمعناها الشامل المجرد، ولكنه بعيد عن الدفاع عن التجسيد السياسي لها، بل كثيراً ما يكون معارضاً سياسياً لها، وفي معظم الحالات يكون في موقع المعارضة الموضوعية التي لم تنتقل لتكون معارضة مجسدة في برنامج سياسي بديل، فمن هذه الناحية قد تقول إنه معارض بالروح لا بالجسد، ولكنك إذا أخذت انسجامه الشامل مع الأيديولوجيا المسيطرة مع معارضته للأشخاص المتحكمين بالسلطة السياسية التي تجسدها يمكن لك أن تقول إنه معارض بالجسد لا بالروح.

قلت للكاتب المذكور : ألا ترى أنكم معشر المثقفين الحديثين مغتربون عن مجتمعكم اغتراباً جذرياً، وأن هذا الاغتراب انعكس في أدبكم فرأينا لغتكم تقطع مع لغة المجتمع الأهلي وكأنها لغة أجنبية بمفاهيمها وقيمها، ورأينا الشخصيات التي تظهر في قصصكم ورواياتكم ومسرحكم وأفلامكم شخصيات لا علاقة لها بالواقع، بل هي شخصيات مصطنعة زائفة تنبئ عن عجز بنيوي عندكم عن التقاط الواقع والتعبير عنه؟

أنكر صاحبي ما ذهبت إليه، وزعم أن جل النتاج الأدبي والفني في ذلك البلد هو من النوع الواقعي، أي الذي يعكس الواقع وليس من النوع الذي يستورد الشكل مع المضمون، وإن كانت الحروف التي يكتب بها عربية، فكأنه «مسلسل تلفزيوني مدبلج».

ضربت لصاحبي أمثلة كثيرة على الاصطناع في هذا النتاج : إن علاقات الحب التي لابد منها في كل رواية ومسرحية وفيلم تكتب بلغة لا تستعمل في مجتمعنا، وتسيرها قيم غريبة عنه لا أريد بالمناسبة أن أعدها «قيماً لا أخلاقية» بل أريد ببساطة أن أعدها قيماً غير موجودة في مجتمعنا وتتحدث غير لغته المفهومة، وإن كانت الكلمة عربية، بل قلت له إن استعمال فعل «أحب» كفعل لازم لوصف العلاقة العاطفية ليس من مألوف لغة المجتمع الأهلي الذي هو متعود أن يضع مفعولاً به لهذا الفعل، والمقصود غالباً به شيء آخر غير تلك العاطفة الرومانسية التي تصورها رواياتنا وقصيدتنا «المجتمع الذي ولدت فيه يستعلم فعل (هوى) ويترك استعمال فعل (أحب) للمعاني غير المتعلقة بالعلاقة بين الجنسين».

وليس ذلك فحسب، بل إن بعض الأشكال الفنية التي يحتفل بها المثقف العربي في البلد الذي أتكلم عنه أيما احتفال لا علاقة للمجتمع بها بتاتاً أو لا يكاد يكون له علاقة مثل «الفنون التشكيلية» كالرسم والنحت والمسرح «لا يذهب إلى المسرح إلاّ (المثقفون)، أما إن جئنا إلى المسرح الذي يعرض في التلفاز فالنوع (الكوميدي) منه هو وحده الذي له شعبية والمواطن مستعد أن يراه، وهو النوع الذي لا ينال من المثقف أي احترام، وهو بالفعل غالباً ما يكون مجرد تهريج سطحي بلا هدف ولا فائدة ولا جمال حقيقي».

وهذه الأشكال الفنية لم تنتج عن تطور طبيعي في الثقافة المحلية، بل نتجت عن استيراد كامل واستزراع في النسيج الاجتماعي الذي ظل منذ دخولها، أي منذ قرن وأكثر، يعدها جسماً غريباً لا يتعامل معه ولا يتبادل معه التأثير، فهي «ثقافة - جالية» (بتنوين التاء المربوطة في كلمة ثقافة ورفعها) كما أن المثقف نفسه يكاد يكون عضواً في جالية منعزلة لاتتبادل التأثير مع محيطها.

ومع كل ما تقدم فإن رواياتنا ومسلسلاتنا التلفزيونية ومسرحنا وأفلامنا التي كتبها هذا المثقف مليئة بشخصيات الرسام والمسرحي الذي يدخل في علاقات مع مجتمعه ويفهمه مجتمعه ويقدره، فكأنه حلم يقظة من أحلام المثقف، ومع ذلك لنا أن نستغرب أن هذا النوع من الفنون يسمى واقعياً ولا يشك أحد في واقعيته.

قلت لصاحبي : ليت باحثاً اجتماعياً تجريبياً يدرس بشكل عياني لا بشكل نظري مجرد (أي بشكل معزز بالإحصاءات والطرق المألوفة في علم الاجتماع التجريبي «الإمبيريقي») مدى فهم الجماهير لهذه النتاجات الفنية وموقفها من المنتجين، وأنا أزعم أن هذه الدراسة ستدعم رأيي الذي استخلصته من ملاحظات واقعية لا أوهام فيها للوضع لمجتمعنا.

وبناءً على دراسات قديمة قام بها الفقير لله، ونشرت ذات يوم في كتاب صدر عام ١٩٩٥م في بيروت بعنوان «الحب والاستلاب» كنت قد رأيت أن هذه الأنواع الحديثة من الفن، بل الثقافة الحديثة، كلها تشكل بالنسبة للمثقف العربي المستلب جمالاً لأنها مغتربة عن المجتمع الأهلي ومنفصلة عنه، وتشكل نوعاً من علامة التميز والانفصال للذي ينتجها وينشرها ويفهمها (أو يدعي فهمها!)، إن الثقافة الحديثة أصبحت علامة للانتماء إلى الطرف المسيطر، كما أن الثقافة التقليدية أصبحت سمة مميزة للمسيطر عليهم، ومن هنا هي لم تصبح لا عقلانية ومتخلفة بناء على دراسة موضوعية قام بها المثقف الحديث الذي حكم عليها أنها كذلك، بل أصبحت كذلك، لأنه يراها بكلمة واحدة «قبيحة»، والمثقف حين يدينها باللاعقلانية والتخلف يقدم تبريراً بعدياً لعاطفة احتقار للمجتمع الأهلي مؤسسة من قبل هي في نهاية التحليل احتقار للذات الحقيقية لهذا المثقف الذي يريد أن ينسلخ منها باتجاه «ذات مثالية» هي ذات المتغلبين، على أن وصف المثقف لها باللاعقلانية والتخلف يحول هاتين الصفتين بسبب الشحنة العاطفية الاحتقارية المرتبطة بهما إلى شتيمتين تفقدان معناهما الأصلي بالتدريج شأن أي شتائم لتصبحان معادلتين في النهاية للكلمة الأصلية (أي كلمة «قبيحة»).

ألم تر إلى المثقف الحديث كيف احتفل بالبيانو أكثر مما احتفل بالعود وبالموسيقى الغربية أكثر من العربية؟ وكيف انهالت الأوصاف التي تنعى على الموسيقى العربية اختلافها عن الغربية (فقدان «الهارموني»، الاعتماد على الصوت البشري وندرة الموسيقى الآلية البحتة... الخ)، بل إنني لأزعم أننا في حالة مطربة واحدة هي فيروز يمكن لك أن تميز بين ما يسمعه ابن الشعب من هذه المطربة وما يسمعه المثقف، فابن الشعب قد يسمع «الدلعونا» أو الأنواع الموروثة من الزجل، بينما كل سحر وجمال فيروز الذي اكتسبته عند المثقف العربي الحديث موجود في ذلك الجزء من أغانيها التي استندت في كلماتها إلى اتجاه رومانسي رحباني خاص انفصل عن لغة الأغنية العربية المعروفة ومعانيها، وفي موسيقاها خرج الرحابنة عن مألوف الموسيقى العربية مقتبسين من معين الموسيقى الكلاسيكية الغربية، سواء في الجمل الموسيقية أو الإيقاع أو التوزيع الموسيقي (علاوة على مصدر آخر للموسيقى الرحبانية يمكن اعتباره عند المثقفين ذا جمال خاص لانفصاله - أيضاً - عن مألوف الموسيقى السائدة، وهو الموسيقى الكنسية الأرثوذكسية، ولعلي فقط أشير هنا إلى أن ما تقدم من تحليل لا يعني عدم تقديري بكل موضوعية لعبقرية الأخوين رحباني اللذين هما بأن واحد شاعران كبيران وموسيقيان كبيران، وأمر في غاية الندرة أن تجتمع هاتان الموهبتان في شخص).

هل المثقفون العرب الحديثون هم شريحة اجتماعية؟

□ قد يستغرب المثقف هذا السؤال، إذ يبدو له من البديهي أن يكون واحداً من أفراد شريحة اجتماعية من شرائح مجتمعنا، ولعله حين يستغرب السؤال سيخطر بباله واقعة وجود عدد ممن يحمل هذه الصفة «مثقف» يكفي ليكون المثقفون شريحة، ولكن الشريحة الاجتماعية ليست هي مجرد عدد من الأشخاص الذين لديهم صفة مشتركة، ولكنها، وفق تعريف أراه دقيقاً، مجموعة من الأشخاص الذين يقومون في المجتمع بوظيفة واحدة تجعلهم في حالة تبادل مستمر طويل للتأثر والتأثير مع بقية مكونات النسيج الاجتماعي، فحتى لو كان الأشخاص يقومون بوظيفة مهمة في المجتمع المعني، ولكنهم لا يتبادلون التأثر والتأثير معه فإنهم لا يشكلون - في رأيي - شريحة اجتماعية، ومن الأمثلة على ذلك أن الخبراء السوفييت الذين تواجد منهم ذات يوم في مصر وقت بناء السد العالي والتعاون العسكري بين مصر والاتحاد السوفييتي، عدد كبير نسبياً لم يكونوا شريحة اجتماعية مصرية! مثلهم مثل القوات الأمريكية في العراق الآن التي هي، رغم عددها الكبير، ليست شريحة اجتماعية عراقية!

وبالمثل، فإن أي أقلية منعزلة توجد في مجتمع ما لا تشكل شريحة حتى تدخل في علاقات تأثر وتأثير مع بقية مكونات النسيج الاجتماعي، وبالذات أذكر من هذه المكونات المكون الثقافي، بحيث أننا لو تصورنا أن هذه الشريحة هاجرت في يوم واحد من بلد المجتمع المعني، فإن هذه الهجرة ستظهر لها آثار في النسيج الاجتماعي وتترك فراغاً وظيفياً فيه.

تصور أن الجالية الصينية في سوريا مثلاً غادرتها في ساعة واحدة فهل ستترك فراغاً في النسيج الاجتماعي السوري.

جوابي هو : لا! ومن هنا كانت هذه الجالية لا تشكل شريحة اجتماعية في المجتمع السوري.

لنتخيل الآن أن الصينيين في ماليزيا فعلوا الشيء نفسه وعادوا إلى الصين في ساعة واحدة، فهل سيتركون فراغاً وظيفياً في المجتمع الماليزي؟

الجواب : نعم! وهو ما يدلنا على أن الصينيين هم حقاً شريحة من شرائح المجتمع الماليزي.

لنأت الآن إلى المثقف العربي الحديث ولنسأل السؤال نفسه : أرأيتم لو أن جل ما عندنا من رسامين ونحاتين ومسرحيين وشعراء حديثين غادروا بلادنا في ساعة واحدة، فهل سيحس بغيابهم أحد يا ترى؟ هل سيتشكل في النسيج الاجتماعي فراغ وتختل وظيفة ضرورية من وظائف البنية الاجتماعية؟

تشهد على وجود هذا المثقف وتفاعله مع مجتمعه مبيعات دواوين الشعر الحديث واللوحات والقصة التجريبية!

الثقافة السائدة والثقافة المسيطرة

□ أطروحتي الرئيسية في تحليل الثقافة العربية المعاصرة تقول باختصار إن هذه الثقافة قد اكتملت في مطلع القرن العشرين الميلادي عشية انقسامها إلى محورين أساسيين : ثقافة سائدة وثقافة مسيطرة، أما الثقافة السائدة فهي ثقافة الأغلبية المجتمعية، وأما الثقافة المسيطرة فهي ثقافة النخب الحاكمة التي تميزت منذ البداية و حتى الآن بالانفصال عن ثقافة الأغلبية وبالعداء لها.

نشأت الثقافة المسيطرة أساساً بصفتها النموذج الثقافي البديل الذي يهدف إلى ترويض المجتمع الأهلي وقولبته ليتلاءم مع متطلبات الحكم الاستعماري أولاً ثم الحكم الوطني لاحقاً، ولكن هذه الثقافة تحولت إلى أيديولوجيات لنخب معارضة ويوتوبيا لمجتمع محدث بديل يرجى منه أن يتجاوز الهوة بيننا وبين المجتمعات الصناعية المتقدمة، وأنا أعد هذا النموذج الثقافي المعارض جزءاً من الثقافة المسيطرة لأسباب عدة : إنه أولاً نصير للثقافة التي تسيطر على مستوى الكرة الأرضية، وهو ثانياً يتفق مع الثقافة المسيطرة للسلطة في مسلماتها الكبرى البانية، وهو ثالثاً لا يتردد عند اللزوم في تأييد السلطة التي يعارضها ضد المجتمع، وهذه الحقيقة يجد القارئ عليها أمثلة عديدة في أقطار عربية كثيرة، وسبب تحول جزء من منتجي الثقافة المسيطرة ومروجيها إلى معارضين يكمن في سببين : الأول عجز الحكومات التي ورثت عهد الاستعمار عن تحقيق أي من أهداف النضال الوطني المعلنة، فلم يتحقق إنهاء للتبعية الاقتصادية والسياسية، وعجزت هذه الحكومات حتى عن القضاء على الأمية الأبجدية، فكانت الأيديولوجيات البديلة التي ولدت في الربع الثاني من القرن العشرين مشاريع سلطة بديلة وصلت إلى الحكم فعلاً اعتباراً من بداية الخمسينيات.

والسبب الثاني هو الانبهار الاستلابي أمام نموذج الحضارة المسيطرة عالمياً، وهو النموذج الذي يجعل المثقف لا يقنع بإنجازات التحديث السلطوية ويأخذ عليها دوماً عجزها عن تحقيق النظام الحديث على النموذج الذي يناصره (اشتراكي - ليبرالي - بل لفترة معينة وجد مناصرون حتى للنمط الفاشي).

وأيا كان نوع الثقافة المسيطرة فإن الظاهرة المميزة التي يراها الباحث هي أن المجتمع الأهلي لم يتحول إلى الآن التحول النوعي الذي ترجوه هذه الثقافة، بل ظل على مسلماته المؤسسة الكبرى، وحتى جماهير الأحزاب والمنظمات التقدمية ومناصروها تجدهم غالباً يؤيدون شعاراتها السياسية التي لا تناقض مسلمات ثقافتهم السائدة وأسسها الجوهرية (من نوع الوحدة العربية مثلاً أو تحرير فلسطين أو العدالة الاجتماعية)، ولكنهم في النقاط الحاسمة يظلون تقليديين، وإن الفقير لله، كاتب هذه السطور، لا ينسى كيف مر مرة في نهاية الثمانينيات في رمضان بموقع لمنظمة فلسطين يقول قادتها إنها ماركسية، فوجد جميع الكوادر صائمين!

وملاحظات مثل هذه الأخيرة هي التي دفعت بعض التحديثيين الجذريين شأن الأستاذ ياسين الحافظ إلى أن يعد بعض الحركات اليسارية العربية المشرقية حركات دينية تمركست في الشكل وفي البناء الفوقي للقيادة والإعلام، لا في المضمون الحقيقي لبنية أعضائها العقلية، (ولو عاش حتى زمان الانتفاضة لوجد مصادقة على هذا الرأي في سلوك الكوادر الصغار لهذه المنظمات في فلسطين).

وإن الثقافة المسيطرة تحاول بوسائل سلطوية أن تفرض أنماطها السلوكية على الجموع (من نوع فرض نزع الحجاب في تونس وتركيا وفرض نزعه في بعض المهن والأعمال في البلاد الأخرى)، غير أنها - أيضاً - تعتمد على وسائل إعلامية لتغيير السلوك التقليدي، وتقدم القنوات الفضائية أمثلة على هذه المحاولات المحمومة، وفي اعتقادي أن هذه المحاولات لم تنجح على صعيد تغيير المعتقدات الأساسية للناس، ولكنها نجحت إلى حد لا بأس به في جانب واحد على الأقل وهو تغيير الذوق الجمالي عند قطاعات اجتماعية مهمة (كما في حالة تغيير الأزياء في بلاد الشام للجنسين وجعل الموضة الغربية نموذجاً جمالياً للنساء حتى المحجبات منهن اللواتي ينزعن لارتداء الثياب الغربية في مجالسهن الخاصة أو في البيت).

لا شك في أن تغييراً جوهرياً في السلوك الحضاري لإنساننا هو مهم أهمية حاسمة وجودية، وعليه يتوقف بقاء هذه الثقافة العظيمة أو زوالها، ولكن السؤال هو عن نوع التغيير وهدفه، وفي هذه النقطة يختلف التأصيليون عن الاستلابيين.

يريد الاستلابيون قلب البنية العقدية والقيمية والسلوكية رأساً على عقب، بحيث تتطابق مع المثل الأعلى الاستلابي، وبحيث يخرج المجتمع من جلده ليرتدي جلداً غريباً يزول فيه كل تميز وهوية خاصة، مما يجعل العالم نسخة واحدة لا تنوع فيها ولا اختلاف.

ويريد التأصيليون تغيير السلوك الحضاري، وبهذا المعنى تغيير منظومة الثقافة السائدة بصورة تجعل المجتمع متماسكاً غير قابل للتقسيم العمودي الذي نراه خطراً داهماً في أيامنا هذه وفي أقطارنا كلها، فعالاً نشيطاً غير متواكل، قادراً على الاعتماد على نفسه، لا مكان فيه للكسل والتواكل، قادراً على حمل رسالته العقدية والحضارية الخالدة للعالم بشكلها الحقيقي الإنساني الذي يريد الصلاح للبشرية لا الإفساد في الأرض، والمنطلق من محبة الناس الذين هم عيال الله وليس من كراهيتهم ومحاولة قتلهم بدعوى الاختلاف العقدي معهم.

والنتاجات الثقافية لكلا التيارين لا تشكلها الرغبات الجمالية الشكلية المجردة، بل يشكلها أساساً هذا التوجه إلى تشكيل المتلقي وفقاً لنموذج قيمي مرغوب فيه يريده المنتج الثقافي، أقرأ أي «قصيدة حديثة» من قصائد الفاعلين في الثقافة العربية المسيطرة، وستجد أنهم يصدرون في هذه القصائد عن هذا الوعي المناقض للثقافة الأهلية، والراغب في تحطيمها، وكذلك الأمر في نتاجاتهم الأخرى من قصة ومسرح وسينما، بل ورسم ونحت أيضاً.

ومن المؤسف أن النتاج الثقافي التأصيلي في المقابل يشكو من ضعف بنيوي شديد، وضآلة كمية ونوعية في الإنتاج، بحيث هو مرض في نطاق الفكر المجرد أكثر مما هو مرض في نطاق الأدب والفن، ولهذا السبب تستحق النقاش والبحث من المهتمين، ولعلي - إن شاء الله - أعود إليها في مقال آخر.

كاتب عربي يقيم في برلين

مثّل بلادنا فيه الفنان جابر علي أحمد :

المحافظة على الهوية الموسيقية العربية في مؤتمر مسقط الدولي

كتب/ جميل مفرح

□ أوصى المشاركون في المؤتمر الدولي الذي نظمته وزارة الإعلام بسلطنة عمان خلال الفترة من الـ ١١ وحتى الـ ١٤ من ديسمبر الجاري حول التوجهات والرؤى المستقبلية في الموسيقى العربية، بالمحافظة على الهوية الموسيقية كأساس لإثبات الذات العربية مع عدم إغفال التطور، فلا عالمية دون محلية، وبالعمل على إعداد معلم الموسيقى إعداداً جيداً منطلقاً من خصوصية الموسيقى العربية ومكوناتها.

كما جاء في توصيات المؤتمر، الذي عقد بالتعاون مع المجلس الدولي للموسيقى التابع لمنظمة اليونسكو، ما يلي :

○ تفعيل النشاط الموسيقي في المدارس، عزفاً وغناءً، فردياً وجماعياً.

○ تزويد المكتبات العامة بركن خاص بالكتب والتسجيلات الصوتية، كخطوة نحو إنشاء مكتبة موسيقية مختصة.

○ حث وسائل الإعلام على بث برامج تهدف إلى نشر الثقافة الموسيقية العربية.

○ ضرورة انفتاح معاهد الموسيقى في العالم العربي على التراث الموسيقي العربي بمفهومه الشمولي دون استثناء.

○ حث جمعيات المعاهد الموسيقية في الوطن العربي - القائمة منها وتلك التي في طريقها - للاعتماد أساساً على الكفاءات المتخصصة في التربية والتعليم الموسيقي.

○ العمل على تعاون المؤسسات الفنية والتجارية في مجال الموسيقى العربية.

○ الاستفادة من إيجابيات هذا المؤتمر، والعمل على مواصلة الحوار في مؤتمرات لاحقة لتوضيح الرؤى وتنميتها.

○ العمل على مكافحة القرصنة، ودعوة الحكومات إلى تيسير الحصول على المادة الموسيقية بمختلف أنواعها بسعر مناسب حسب المستوى الاقتصادي لكل بلد.

○ فتح مجالات الاتصال بين وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في الدول العربية بهدف تبادل المواد الموسيقية الخاصة بكل بلد.

○ إيجاد سبل تبادل متوازن للأعمال الموسيقية مع المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية الأجنبية.

○ نبذ التعامل مع الموسيقى كسلعة تجارية فقط.

○ التعامل مع العولمة بما يخدم الموسيقى العربية.

○ دعوة معارض الكتب في البلاد العربية إلى تخصيص ركن خاص بالمراجع الموسيقية بمختلف أنواعها.

○ العمل على التعريف بالموسيقى العربية وتسويقها من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

■ جابر علي أحمد

○ دعوة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية إلى دعم الأعمال الموسيقية الجادة.

○ إنشاء وتفعيل دور الجمعيات التي تعنى بحماية حقوق المؤلفين والملحنين وتخصيص صندوق بها لمن يحتاج دعماً مادياً.

○ تشجيع الملحنين للإقبال على تلحين أغانٍ عربية أصيلة خاصة بالأطفال، وذلك عن طريق المسابقات والجوائز.

○ دعوة المؤسسات المختصة، وعلى رأسها المجمع العربي للموسيقى، إلى إحداث موقع على شبكة المعلومات العالمية، على أن يزود بالمواد الموسيقية اللازمة بصفة مستمرة.

○ دعوة المؤسسات المعنية، وعلى رأسها المجمع العربي للموسيقى، إلى إقامة مسابقات دورية في صناعة الآلات الموسيقية العربية، أخذاً بكل آلة على حدة وبالتوالي.

○ تفعيل دور المجموعة العربية داخل المجلس الدولي للموسيقى، شريطة ألاّ تتعارض مهامها ومهام المجمع العربي للموسيقى.

○ حث القطاع الخاص العُماني على الاستثمار في الإنتاج الموسيقي والتنافس مع الشركات المنتجة العربية وغير العربية.

شارك في المؤتمر أكثر من (٣٥) من الأساتذة الباحثين والفنانين والمهتمين بالموسيقى العربية من داخل وخارج الوطن العربي، ومثّل بلادنا في فعالياته الفنان جابر علي أحمد، الذي شارك بورقة عمل بعنوان «نحو إبداع موسيقي عضوي - اليمن نموذجاً».

وتتضمن هذه الورشة وقفة أمام جذور الموسيقى العربية، كما تتطرق لمبادئ التطوير الموسيقي، كما تطرحها التجربة الإبداعية اليمنية، متخذة من الشيخ جابر أحمد رزق نموذجاً في هذا الصدد.

وقد اشتمل المؤتمر على بحوث وتجارب إبداعية وحلقات عمل في إطار عشرة محاور رئيسية هامة تخدم مستقبل الموسيقى العربية، هي :

○ الموسيقى والتغيير الاجتماعي.
○ التربية الموسيقية العربية.
○ الجماهير وتطور السوق.
○ الإعلام والتقنيات الحديثة في الموسيقى العربية.
○ تحديات التمويل وفرصه.
○ التوجه التجاري في صناعة الموسيقى.
○ حقوق الملكية الفكرية.
○ تطور المهن الموسيقية في العالم العربي.
○ الموسيقى في الخليج العربي.
○ دور الموسيقى التقليدية في المجتمع العُماني.

قصة قصيرة

الطائر المهاجر

إبراهيم شعبان

□ في الوقت الذي كان يطوي الزمان فيه صفحاته كنت أستعيد معه ذكرياتي التي مرت عبر السنين، كنت حينها أعيش في سعادة غامرة لم يسبقني إليها أحد وأجد حلاوتها في كل همسة ولمسة ورائحة وحزن وأنين ولوعة واشتياق ودموع وفراق، كل هذه وجدتها تملأ حياتي، والتي لا يخلو منها قلب أي عاشق أو محب في هذه الحياة، وبينما أنا كذلك كنت أشتاق لأيامي هذه وأحن إليها حنين الطفل لأمه، حنين المفارق لوطنه، وأثناء عودتي ارتبط هذا الحنين بمخيلتي وظننت أنني سوف أعود إلى الماضي الذي كنت فيه، حيث سيعود ذلك الطائر المهاجر إلى وطنه وإلى عشه القديم، وبدأت أحسب الأيام وأعد الساعات وأرتقب يوم اللقاء وأتخيل أن لحظة لقائي بهذا الطائر سوف تكون عودة إلى تلك الحياة، فكلانا يشتاق للآخر، وما أكاد أفتح عيني حتى أغلقها من جديد لأرى نفسي قابعاً بين أجنحة طائري المهاجر وهو يحلق بي في الفضاء، حيث نرى من خلاله أيامنا التي مضت وعشنا الجميل الذي كنا نسكنه، هل ما زالت تملأه الحياة أم أصبح عش خراب دمرته السنون.

كل هذه الأحلام كانت ترافقني في الطريق، ولكن كان يمزجها الحنين ولوعة الاشتياق والخوف من اللقاء بعد الفراق، فطائري الذي عهدته كان من أجمل الطيور وأرقها، فالعاطفة التي تملأ جوانحه هي من كانت تشعرني بمعنى الحب والحنين، وهي التي جعلتني أنتظره كل تلك السنين، فأثناء الطريق كنت أجده في الأفق وأراه على جناح الشوق ينادي ويقول تعال لكي أضمك بين أجنحتي وأملأ عيني منك التي طالما حلمت بلحظة اللقاء وأطوي رحلة عذابي التي استمرت لسنوات وأيام مضت، وهكذا كنت رفيق رحلة أحلامي طول الطريق، وعندما وصلت إلى موطني والتقيت أهلي وأحبتي ظللت حائراً وتائهاً لم تنطفئ نيران غربتي، لم تهدأ خفقات قلبي، ما زلت أشعر بالغربة، فأدركت حينها أن هناك من لم يطفئ لهفتي، نعم إنه هو، إنه طائري المهاجر لم يعد بعد، فنظرت إلى السماء فلم أجده بين الطيور والتفت حولي فلم أر سوى عشه الخالي، فمررت عليه أملأ عيني منه وأتحسسه بيدي فلطالما عشنا سوياً في هذا المكان الجميل، فراحت يدي تزيل ما بقي وتنفض الغبار الذي كان يملأ المكان، نعم حينها حدثني قلبي أن طائري سوف يعود في المساء لحظة الغروب، حينما تعود الطيور إلى أوكارها، فرجعت من حيث أتيت، ولكن كان هناك شعور غريب يلازمني أثناء عودتي من العش، ولا أدري ما هذا الإحساس، كانت نبضات قلبي تدق كأجراس تعلن بوجود الخطر وأخذ الحذر، فلم أبال بهذا الشعور، فقلت لنفسي إنها الفرحة تسبقها علامات، فوقفت برهة من الزمن كانت الشمس حينها توشك على المغيب، فسمعت أصواتاً من بعيد قد عاد الطائر المهاجر، قد عاد، فالتفت صوب السماء فلم أر أي شيء سوى سحابة سوداء تغطي وتملأ عنان السماء بعد أن كانت أشعة الشمس الحمراء تملأها، فتغير الجو وإذا بي أرى عنقاء تحلق في السماء آخذة معها طائري بين جوانحها، فذهلت لما رأيت، إنه منظر غريب، كيف عاد طائري هذه المرة مصطحباً معه عنقاء، فتبدد حالي فلم أعد أرى أمامي سوى السواد، كل شيء كان يبدو لي أسود، إلى أن جاء المساء فذهبت خلسة إلى عشنا القديم فذهلت لما رأيت؟!

رأيت العنقاء تزحم المكان وطائري واقفاً بجوار العش يحركها، فقد كانت نائمة منهكة القوى من طول رحلة السفر، فعندما رآني تسلل خفية كي لا تراه العنقاء، فجاء إليّ، وعندما وقف أمامي رأيته طائراً آخر، فكأنني أراه لأول مرة، فلم أستطع حتى أن ألمسه بيدي، وفجأة طواني بين أجنحته لكنني لم أحس بأي شيء سوى رائحة نعم هي من كانت تميزه، نعم إنه طائري المهاجر، لكنه لم يعد، بل عاد جسمه وترك روحه تحلق في السماء، فابتعدنا عن مكان العش قليلاً كي يتسنى لنا الحديث وبدأ حديثي معه، ما هذا؟ أتعود مصطحباً معك عنقاء؟ فتسكنها عشنا الجميل ونجلس نحن في العراء؟ لماذا إذاً أتيت وأنت من تشتاق إليّ وهذا هو موعدنا السنوي فنقضي إجازتنا سوياً دون أي شيء يعكر صفونا؟ فلما أتيت بهذه الغولة، نعم إن مجرد اسمها يشعرني بالخوف والتوتر، فما بالك برؤيتها أمامي وهي تنشب مخالبها وتقتحم عشي الجميل؟ فالتفت الطائر المهاجر صوبي قائلاً : لا، أنا لم أصطحبها لكي أعكر صفونا، لكن هي من أصرت على المجيء معي، فهي من وقفت في غربتي، فخشيت أن تغضب مني فأنا لا أنكر المعروف ولا أرد الحسنة بالسيئة، حينها بدأت ملامح وجهي تتغير وقلت لطائري، إذاً اتركك مع ضيفتك العنقاء، فهي الآن من تستحق الجلوس معها لا أنا، فتركت المكان وإذا بصوت يجوب أرجاء المكان : عُد عُد، فأجبت : وداعاً فالعودة ليست لي ولكن لك أنت.

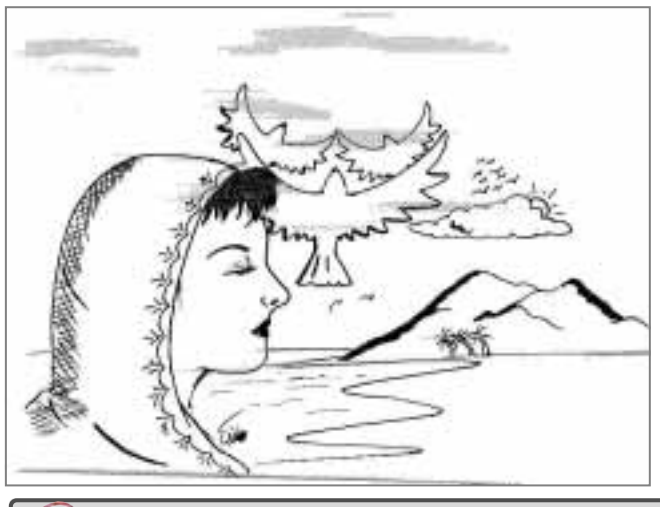

التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠٠٤م
معرفة البيانات الخاصة بحجم الأسرة وخصائص المسكن يساعد على تقدير عدد الوحدات السكنية اللازمة لها وتقدير احتياجاتها من الخدمات المختلفة